

نساء في الإسلام

* * *

أَسْمَاءُ بِنْتُ يَزِيدَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

نجلاء شوقي حسن

أَسْمَاءُ بِنْتُ يُزَيْدٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

شَعَرْتُ إِيمَانًا بِالْفَخْرِ وَالسُّرُورِ ، عِنْدَمَا
أَبْلَغَتْهَا مُدِيرَةُ الْمَدْرَسَةِ ، نَبَأَ اخْتِيَارِهَا لِإِلْقَاءِ
كَلِمَةِ حَفْلِ مَجْلِسِ الْآبَاءِ ، الَّذِي سَيُقَامُ
الْأُسْبُوعَ ، التَّالِي ، نِيَابَةً عَنِ الطَّالِبَاتِ .

خَرَجْتُ إِيمَانًا مِنْ حُجْرَةِ مُدِيرَةِ الْمَدْرَسَةِ ،
وَأَسْرَعْتُ إِلَى مُعَلِّمَتِهَا وَزَمِيلَاتِهَا ، تُخَبِّرُهُنَّ
بِالْأَمْرِ . فَقَالَتِ الْمُعَلِّمَةُ :

— إِنَّكَ يَا إِيمَانُ طَالِبَةٌ مُمْتَازَةٌ ، وَخَيْرُ مَنْ
يَقُومُ بِهَذِهِ الْمِهْمَةِ .

وَقَالَتِ الطَّالِبَاتُ فِي سُرُورٍ :

— أَلَمْ تَخْتَرْكِ يَا إِيْمَانُ دَائِمًا لِإِلْقَاءِ كَلِمَةٍ
الصَّبَّاحِ ؟

قَالَتْ إِيْمَانُ : إِنِّي سَعِيدَةٌ بِثِقَتِكَ وَحُبِّكَ
لِي .

وَقَالَتْ الْمُعَلِّمَةُ : تَذَكَّرِي يَا إِيْمَانُ الْعَدَدَ
الْجَدِيدَ مِنَ الصَّحِيفَةِ الْمَدْرَسِيَّةِ أَرْجَو أَنْ
تَنْتَهِيَ مِنْهُ قَرِيبًا .

قَالَتْ إِيْمَانُ : لَقَدْ أَعْدَدْتُهُ ، وَ يَعُدُّ يَنْقُصُهُ
إِلَّا قِصَّةَ الْعَدَدِ .

قَالَتْ الْمُعَلِّمَةُ : حَسَنًا ، أَمَامَكَ يَا إِيْمَانُ ثَلَاثَةُ
أَيَّامٍ لِإِحْضَارِهَا .

لَمَّا عَادَتْ إِيْمَانُ إِلَى الْبَيْتِ ، أَخْبَرَتْ أُمُّهَا بِمَا
 حَدَّثَتْ ، فَقَالَتْ أُمُّهَا فِي سُرُورٍ : إِنَّ
 اخْتِيَارَهُمْ لَكَ إِنَّمَا هُوَ نَتِيجَةُ لِنَشَاطِكَ
 وَاجْتِهَادِكَ وَحُسْنِ تَصَرُّفِكَ ، وَهَذَا هُوَ رَأْيُ
 إِخْوَتِكَ أَيْضًا .

قَالَتْ إِيْمَانُ فِي اسْتِحْيَاءٍ : هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ
 أَطْلُبَ مِنْكَ شَيْئًا يَا أُمِّي ؟ أَقْصِدُ مُسَاعَدَةً
 ضَرُورِيَّةً .

قَالَتْ أُمُّهَا : أَيُّ نَوْعٍ مِنَ الْمُسَاعَدَةِ تَطْلُبِينَ ؟
 إِنَّ كَانَتْ مُسَاعَدَةً مَالِيَّةً ، فَاقْبَلِي اعْتِذَارِي
 مِنْ الْآنَ . أَمَّا إِنْ كَانَتْ شَيْئًا آخَرَ مَهْمَا

تكن ، فأنا مُستعدة .

قالت إيمان : اطمئني يا أمي ، فهي غير مَالِيَّة . كلُّ ما هُنالك أني أَعِدُّ مِجلَّةَ الحائِطِ للمدرسة ، وقد اكتملت كُلُّها ما عدا قِصَّةَ العدد ، وقد رأيتُ أن أجعلَ موضوعَ القِصَّةِ جِهَادَ المِراةِ في الإسلام ، ولذلك أحتاجُ إلى مُساعدتك .

قالت أمُّها : هذه فِكرةٌ طيِّبة . ومتى تُريدِينَ أن أُحدِّثكِ في مَوْضوعِ هذه القِصَّةِ ؟
قالت إيمان : الآنَ إن أمكنَ يا أمي ، حتَّى أطمئنَ أن تكونَ المِجلَّةُ جاهِزةً في مَوْعِدِها .

قالت أمُّها : حَسَنًا ، فاستعدّى بالكرّاسة
والقَلَمَ ، فسَكونُ قِصَّةِ العَدَدِ عن خَطيبةِ
النِّساءِ « أسماء بنتِ زَيْدٍ » .

قالت إيمانُ في سُرور : خَطيبةُ النِّساءِ !
هذا رائعٌ يا أمِّي ، فقد كنتُ أبحثُ عن
مَراجعٍ لهذهِ الشَّخصيَّةِ العَظيمةِ .

قالت أمُّها : اكتبِي يا ابنتِي :
قدَّمتِ المَراةُ المُسلمةُ ، أروعَ الأمثالِ في
البُطولةِ والفِداءِ . فغيَّرتْ بِطولاتِها النّادِرةُ ،
الَّتِي فاقتْ بِطولاتِ الكَثيرِ مِنَ الرِّجالِ ، وَجَهَ
التَّاريخِ .

وهذه المرأة بَطْلَةٌ قِصَّتِنَا ، هي أَسْمَاءُ بِنْتُ
 يَزِيدِ بْنِ السَّكَنِ ، قَدِمَتْ فِي السَّنَةِ الْأُولَى
 مِنَ الْهِجْرَةِ مَعَ وَفْدِ النِّسَاءِ ، يُبَايِعَنَّ الرَّسُولَ
 - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى الدُّخُولِ فِي
 الْإِسْلَامِ ، وَالْوُقُوفِ بِجَانِبِهِ فِي دَعْوَتِهِ إِلَى اللَّهِ
 عَزَّ وَجَلَّ .

وَقَالَتْ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عَنْ هَذِهِ
 الْبَيْعَةِ : بَايَعَ النِّسَاءُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَخَذَ عَلَيْهِنَّ ، أَلَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ
 شَيْئًا ، وَلَا يَسْرِقْنَ ، وَلَا يَزْنِينَ ، وَلَا يَقْتُلْنَ
 أَوْلَادَهُنَّ .

وكانت مُبَايَعَةُ السَّيِّدَةِ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدٍ
 لِلرَّسُولِ ، مُبَايَعَةٌ صِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ . وَقَدْ
 رَوَتْ كُتُبُ السَّيِّرَةِ ، أَنَّهَا كَانَتْ تَضَعُ فِي
 رُسْغَيْهَا سِوَارَيْنِ كَبِيرَيْنِ مِنَ الذَّهَبِ ، فَقَالَ
 لَهَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَلْقِي
 السَّوَارَيْنِ يَا أَسْمَاءُ . أَمَا تَخَافِينَ أَنْ يُسَوِّرَكَ
 اللَّهُ بِأَسَاوِرَ مِنْ نَارٍ ؟

وَلَمْ تَتَرَدَّدْ أَسْمَاءُ بِنْتُ يَزِيدٍ ، بَلْ أَسْرَعَتْ
 وَنَزَعَتْ السَّوَارَيْنِ ، وَأَلْقَتْ بِهِمَا أَمَامَ رَسُولِ
 اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

وَأَقْبَلْتُ بَعْدَ ذَلِكَ لِتَسْمَعَ أَحَادِيثَهُ الشَّرِيفَةَ ،

فكانت تسأل عن دقائق الأمور ، التي تتعلق
 بقضايا الإسلام . حتى بلغت في الفقه مكانة
 عالية ، فكانت النساء يُرسلنَّها إلى الرسول -
 صلى الله عليه وسلم - لتتوبَ عنهنَّ عنده .
 وقد أتته ذات مرة فقالت له :

- يا رسول الله ، إني رسولٌ من جماعة
 نساء المسلمين إليك ، فكلهنَّ يقلنَّ بقولي .
 وقد بعثك الله إلى الرجال والنساء ، فأمنّا
 بك واتبعناك . ونحنُ معشر النساء لا حيلةَ
 لنا قواعِدُ بيوت . وأنَّ الرجال فضلوا علينا
 بالجمعات ، وشهود الجنائز ، والجهاد . وإذا

خَرَجُوا لِلْجِهَادِ حَفَظْنَا لَهُمُ أَمْوَالَهُمْ ، وَرَبَّيْنَا
 لَهُمُ أَوْلَادَهُمْ ، أَفَتُشَارِكُهُمْ فِي الْأَجْرِ يَا
 رَسُولَ اللَّهِ ؟

وَهُنَا نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ - إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ :

- هَلْ سَمِعْتُمْ مَقَالََةَ امْرَأَةٍ ، أَحْسَنَ سُؤلاً

عَنْ دِينِهَا مِنْ هَذِهِ ؟

فَقَالَ الصَّحَابَةُ - رَضَوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - :

لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ .

فَقَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : انْصَرَفِي

يَا أَسْمَاءُ ، وَأَعْلِمِي مَنْ وَرَاءَكَ مِنَ النِّسَاءِ ،

أَنْ حُسْنَ مُصَاحِبَةٍ إِحْدَاكُنَّ لَزَوْجِهَا وَطَلِبِهَا
لِمَرْضَاتِهِ ، وَاتِّبَاعِهَا لِمُوَافَقَتِهِ ، يَعْدَلُ كُلُّ مَا
ذَكَرْتُ لِلرِّجَالِ .

بِهَذَا عَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - أَسْمَاءَ وَسَائِرَ النِّسَاءِ الْمُسْلِمَاتِ ،
بِحُقُوقِ الزَّوْجِ الْعَظِيمَةِ عَلَيْهِنَّ ، وَمَا أَوْجَبَهُ
الْإِسْلَامُ عَلَى النِّسَاءِ مِنْ طَاعَتِهِ ، وَالْعَمَلِ
عَلَى رَاحَتِهِ .

وَرَجَعْتُ أَاسْمَاءَ بَعْدَ سَمَاعِهَا هَذِهِ الْبُشْرَى مِنْ
الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى النِّسَاءِ
وَهِيَ تُهَلِّلُ وَتُكَبِّرُ ، وَتُحَمِّدُ اللَّهَ .

كانت السيدة أسماء من الخطيبات
 البليغات ، اللاتي يُجِدْنَ نظمَ الكلامِ
 والتَّصَرُّفِ في معانيه . ولذلك فقد كان يُقال
 لها خطيبة النساء ، وكانت تُحسِنُ الحوار ،
 ولذلك فقد اختارها النساءُ المسلماتُ لتُعبِّرَ
 عما في نفوسهنَّ ، أمامَ أكرمِ خلقِ الله .

* * *

في معركة اليرموك ، كانت المرأة المسلمة
 تُشاركُ في القتال ، وذلك لأنَّ المعركة كانت
 عَصِيبةً للغاية . فقد جعلَ خالدُ بنُ الوليدِ
 النساءَ المسلماتِ في الخلف وفي المؤخرة ،

وأعطاهنَّ سُيوفاً ، وأمرهنَّ أن يَقتلنَّ من يُولَّى
 هارباً . وقد قاتلَ نِساءُ المُسلمينَ في ذلك
 اليومَ ، وقتلنَّ خلفاً كثيراً من الرومَ ، وكنَّ
 يَضربنَّ من انهزمَ من المُسلمينَ ، ويقلنَّ :
 - أينَ تذهبونَ ، وتتركوننا للأعداءَ ؟

وفي تلكَ المعركةَ ، خرجتِ السيِّدةُ أسماءُ
 بنتُ يزيدٍ معَ الجيشِ الإسلاميِّ ، لتكونَ معَ
 أخواتِها خلفَ المُجاهدينَ ، للمُعَاوَنَةِ والتَّأييدِ
 وبذلِ قُصارَى جَهدِها ، فكانتُ تُناولُ
 السُّلَّاحَ ، وتَسقى الماءَ ، وتُضمِّدُ الجِراحَ ،
 وتشدُّ من عَزمِ المُجاهدينَ .

وَحَمَلَتْ السَّيِّدَةَ أَسْمَاءُ عَمُودَ خِيَمَةٍ ،
 وَانْطَلَقَتْ بَيْنَ الْأَعْدَاءِ تَضْرِبُ يَمِينًا وَشِمَالًا ،
 حَتَّى قَتَلَتْ وَحْدَهَا تِسْعَةً مِنْ الرُّومِ .
 وَخَرَجَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ يُزَيْدٍ مِنَ الْمَعْرَكَةِ
 سَالِمَةً ، وَقَدْ أَصَابَتْهَا بَعْضُ الْجُرُوحِ .

وَعَاشَتْ بَعْدَ الْمَعْرَكَةِ حَوَالَى سَبْعَةِ عَشَرَ
 عَامًا ، وَتُوفِّيتْ — رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهَا — فِي
 حَوَالَى السَّنَةِ الثَّلَاثِينَ لِلْهِجْرَةِ . مَاتَتْ
 — رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهَا — ، وَقَدْ تَرَكَتْ وَرَاءَهَا
 سِيرَةً عَطِرةً ، جَدِيدَةً بِأَنْ يُفْتَدَى بِهَا ، وَيَتَبَّعُهَا
 كُلُّ النِّسَاءِ الْمُسْلِمَاتِ ، فَهِيَ إِلَى جَانِبِ

ثقافتها العظيمة ، تُحاول أن تعرف ما لها وما
عليها ، لكي تلقى الله وهي مُستوفية شروط
الإيمان . هذا بالإضافة إلى دخولها العملي في
صُفوف الجيش ، كي تُحارب وتؤدي دورها
نحو دينها ، في بطولة وتَفانٍ وإخلاص .
رَحَمَها اللهُ رَحمةً واسعةً ، وأدخلها فسيحَ
جَنّاته .